فـــاتحة الكتـــاب :

من شأن العاشق أن يتأمل معشوقه بين حين وآخر، ويرنو إليه بعين الرعاية، فيتعهده إن طرأ عليه ضعف، ويبادر إلى إسعافه ونجدته إن ألمت به ملمة، ويجلو ما نزل به من عوارض. وهو يفعل ذلك ليبدو محبوبه دائما في صورة مشرقة شابة متجددة، مفعمة بالحيوية، قادرة على العطاء. وقد كان هذا حال المؤلفة في عشقها للغتنا الشريفة: فقد تأملتها على مدى فترات طويلة، فلفت نظرها ما طرأ على هذه اللغة من تطور، وآلمها ما اقتحمها من مظاهر وهْنٍ، من شأنها أن تفت في عضدها، وتنخر في عظامها، وتهد من كيانها.

ورأت من واجبها أن تحلل مظاهر الضعف التي طرأت على اللغة وتدرسها؛ كي يمكن التصدي لها، وتنقية اللغة منها. فولّت وجهها نحو تشخيص الداء ومعرفة أسبابه؛ حتى يسهل تحديد العلاج الشافي.

ففي الثمانينيات من القرن العشرين هالها أن تلحظ تداخل اللغات الأجنبية مع العربية في كتابة عناوين اللافتات التجارية بالحروف العربية، وهوما أطلق عليه ظاهرة (التغريب). فحاولت أن تبحث هذه الظاهرة بحثا دقيقا، مبيّنة الأنشطة والمجالات التي تجلت فيها ، محددة الأحياء السكنية التي انتشرت بها الظاهرة، واللغات التي سادت في الأسماء المغربة. ثم راحت تعمل فكرها في أسباب انتشار الظاهرة، وكيفية القضاء عليها. وذلك في بحث نشرته حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر، في عام ١٩٨٩، وعنوانه: " ظاهرة تغريب الأسماء التجارية بالشارع المصري- دراسة مسحية على القاهرة الكبرى عام ١٩٨٣.

ولما كان من أسباب انتشار الظاهرة – في ظنها- ظاهرة الانفتاح الاقتصادي رأت أن ترجع إلى الوراء لتبحث الظاهرة قبل الانفتاح الاقتصادي، فترصد حجم الظاهرة قبل الانفتاح وبعده، وتحدد ما إذا كان للانفتاح الاقتصادي أثر على انتشار الظاهرة أم لا- وذلك في بحث نشر في مجلة الدراسات الشرقية،

بجامعة القاهرة، عام ١٩٨٨، عنوانه : " تطور ظاهرة تغريب الأسماء التجارية بالشارع المصري: دراسة مقارنة للظاهرة بين عامي ١٩٧٢ و١٩٨٣". والتزمت الباحثة فيه بالمعايير والضوابط التي اتبعتها في البحث السابق؛ كي توحد أداة القياس فيهما.وجاءت النتيجة مؤكدة لرؤيتها التي خرجت بها من بحثها الأول. ومن هنا أشارت إلى خطورة هذه الظاهرة ، وأثرها في إضعاف لغتنا، ونادت بأن تتكاتف الجهود للحفاظ على لغتنا وحمايتها.

ومرت السنوات، وتضخم حجم الظاهرة بصورة واضحة، وتعالت صيحات التحذير من منطلق حب اللغة والاعتزاز بها والحفاظ عليها. فرأت أن ترصد حركة تطور الظاهرة بعد مرور عشر سنوات على بحثها الأول. وذلك في بحث نشرته مجلة كلية الآداب ، بجامعة القاهرة، في يناير ٢٠٠١. والتزمت المعايير والضوابط التي اتبعتها في البحثين السابقين. وعلى الرغم مما حدث من اختلاف في كيفية تدوين المصدر الذي اعتمد عليه البحث فقد تبدَّت الظاهرة بوضوح أيضا في هذه المرة- وإن كان هذا الاختلاف مما أدى إلى نتائج غير دقيقة في حساب نسبة انتشار الظاهرة، لا تتناسب مع الانطباع الذي يلحظ في الشارع المصري.

ومن المؤسف أن صيحات التحذير والتنبيه إلى خطر هذه الظاهرة لم تجد آذانا صاغية حتى الآن على المستويين الرسمي والشعبي، وقد كان من الممكن- عن طريق التوعية، أو تفعيل القانون الذي يحكم هذه الظاهرة- أن يمتنع التجار، وكذلك المؤسسات التجارية عن استخدام الأسماء المغربة، فيتوقف نمو الظاهرة ؛ مما يتيح الفرصة لمكافحة ما ظهر منها بالفعل.

ولما كان تطور اللغة العربية يسير أيضا في الطريق الذي تسير فيه كل الكائنات الحية، كان لزاما ألا تقتصر البحوث على الجانب السلبي لتطور اللغة. ومن هنا رأت الباحثة أن تتلمس مظاهر التطور الطبيعي والحيوي الذي حدث في اللغة العربية المعاصرة التي تشيع بيننا الآن، في صحافتنا وفي إنتاجنا الأدبي

المعاصر. فسجلت هذه المظاهر على محورين: أولهما يتعامل مع الكلمة المفردة، والآخر يتناول التركيب العباري.

وبدأت برصد مظاهر التغير في الاستعمال المعاصر للصيغ الصرفية العربية، وتلمُّس موقف مجمع اللغة العربية بالقاهرة من الكلمات والصيغ المستحدثة. ثم حاولت تعرُّف المشكلات المعجمية للاستعمال المعاصر لهذه الصيغ، كما اجتهدت في البحث عن آفاق جديدة للمعجم العربي حتى يلاحق الاستعمالات الجارية.

وفي هذا البحث رصدت التغير في بنية الكلمة في كل من الأفعال والمصادر والكلمات المنسوبة ، واسمي المكان والآلة، والكلمات المعرّبة. ثم انتقلت إلى التغير في استعمال الكلمة ، وقد عالجت فيه الأفعال التي تغيرت في الاستعمال المعاصر، سواء أكان التغير من التعدّي إلى اللزوم، أو بتغير في حرف الجر الذي تتعدى به. وأخيرا رصدت الكلمات التي حدث لها تغيُّر في معناها عند المعاصرين.

وفي البحث الأخير رصدت أبرز التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة، مع تصنيفها تبعا لتركيبها النحوي، ثم وفقا للعلاقات الدلالية والأسلوبية بين مكوناتها، ثم تبعا للمصادر التي نقلت منها هذه التعابير. كما تبيَّنت موقف كل من مجمع اللغة العربية بالقاهرة- من خلال المعجم الوسيط- والمعاجم الحديثة من هذه التعابير. وأخيرا ألقت الضوء على عناصر الجدَّة أوالتغيّر في التعابير الاصطلاحية المعاصرة.

والباحثة ترجو أن تكون قد أسهمت سُهمة متواضعة في خدمة لغتنا الجميلة، بتحليل مظاهر التجدد في بنيتها؛ وتحديد نقاط ضعفها، واقتراح وسائل التغلب عليها.

والله نسأل أن يوفقنا ويوفق ولاة أمورنا لما فيه خير هذه اللغة التي هي من أبرز مقومات أمتنا العربية.

المؤلفة